

نظرة العالم الهندي الكنتوري الجديدة في أصول الكلمة الرباعية والخماسية



د. ضياء القمر آدم علي

أستاذ اللغة العربية والنقد بكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية
بالجامعة المحمدية منصوره، مالمباغون، مهاراشتر، الهند.

المدخل: الكنتوري: هو الفاضل كرامت حسين بن سراج حسين بن المفتي محمد قلي الكنتوري، أحد العلماء المشهورين في العلوم الأدبية، ولد في عام 1269م ببلدة جهانسي، واشتغل بالعلم، وقرأ الكتب الدراسية كلها على السيد محمد تقي بن حسين النقوي اللكهنوي، ثم سافر إلى جركهاري، وتعلم اللغة الإنكليزية هناك، ثم ولي التدريس بكلية نيا كانونراجكمار كالج؛ فدرس بها نحو ثلاث سنين، وفي خلال ذلك كان يتعلم اللغة الإنكليزية ويطلع الكتب الإنكليزية في العلوم والفنون، ثم سافر إلى لندن عاصمة الجزائر البريطانية، فاشتغل بها بالحقوق، وأخذ شهادة الحقوق، ورجع إلى الهند بعد ثلاث سنين، واشتغل بها في إله آباد، وبعد بضعة أشهر ولي التدريس بمدرسة العلوم فيعليكره، ثم رجع إلى إله آباد وولي القضاء في المحكمة العليا بإله آباد سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة.

كان الكنتوري مفرط الذكاء، جيد القريحة، قوي الحفظ، سريع الإدراك، سليم الذهن، حلو المذاكرة، كثير الاشتغال بالتدريس والتصنيف، شديد الانهماك بمطالعة الكتب، غير متعصب على مخالفه، غير متصلب في المذهب. له مصنفات كثيرة، منها: كتاب الحقوق والفرائض، وعلم القانون، وكتاب فقه اللسان بالعربية في ثلاثة مجلدات، وكتاب في الأمور العامة بالعربية، وكتاب علم الأخلاق بالفارسي والأردية، توفي سنة 1335هـ⁽¹⁾. إن العالم الكنتوري له آراء ونظرات لغوية عديدة فذة في كتابه (فقه اللسان): خالف فيها اللغويين العرب القدامى، وسلك في تحليلها مسلكا يختلف عن مسالكهم، وأضاف إليها إضافات وزيادات تكاد تنعدم لديهم. ومن تلك الآراء والقضايا قضية أصول الكلمة العربية: (الثلاثية والرباعية والخماسية): هل كل واحدة منها مستقلة بذاتها، أم أنها تدرجت من الأقل إلى الأكثر؛ فنشأت الرباعية والخماسية من الثلاثية، وهذه من الثنائية، وهذه من الأحادية؟

انقسم العلماء في القضية إلى فريقين؛ فريق يقول بالنظرة الأولى، وفريق يقول بالثانية، والعالم الكنتوري

(1) ينظر: نزهة الخواطر 3/1332.

يعدُّ نفسه من القائلين بالنظرة الثانية، غير أنه فسر القضية بتفسير آخر، وأضاف إليها إضافات لم نكد نعثر عليها لدى القائلين أنفسهم بهذه النظرية، وتختلف وجهته عن وجهتهم تمام الاختلاف. والسطور التالية تحاول عرض نظرتة؛ في نشأة الأصول الرباعية والخماسية؛ دون غيرها من الأصول الثلاثية والثنائية والأحادية، وأرجى الحديث عن نظرتة فيها إلى مقال قادم -إن شاء الله تعالى. -تعريف ((الأصول)) لغةً واصطلاحًا:

((الأصول)) جمع: أصل، وأصل الشيء: أسفله، وأساس الحائط: أصله، ويقال: استأصل الشيء؛ إذا ثبت أصله وقوي⁽¹⁾، ولا يجمع على غير ((أصول)) -كما أفاد ابن منظور بقوله: «وجمعه: أصول، لا يكسر على غير ذلك... وأصل الشيء: أي صار ذا أصل، وكذلك استأصل، ويقال: استأصلت هذه الشجرة: أي ثبت أصلها، واستأصل الله بني فلان؛ إذا لم يدع لهم أصلا، واستأصله: أي قلعه من أصله»⁽²⁾.

ويطلق ((الأصل)) على العقل والحسب؛ كقولهم: لا أصل له، ولا فصل؛ أي لا حسب له ولا نسب⁽³⁾. وترجع هذه المعاني والإطلاقات إلى معنى: الأساس والقاعدة والركن؛ فأصل الشيء: أساسه، وقاعدته، وركنه، ثم كثرت استعمال الكلمة في كل شيء يستند وجود ذلك الشيء إليه.

أمَّا في اصطلاح اللغويين والصرفيين فهو لا يبتعد عن المعنى اللغوي؛ فأصل اللفظ هو الحروف؛ التي تلزم في جميع تصاريف الكلمة: لفظاً أو تقديراً⁽⁴⁾.

أمَّا لفظاً فمثل حروف: أَكَلٌ وَذَخَرَ، أما تقديراً فهي الحروف؛ التي تسقط لعلة تصريفية؛ كفاء؛ سِمَةٌ؛ وهي الواو، وعين بَعٍ؛ وهي الياء، ولام سَفَّيْرَجٍ وسَفَّارَجٍ؛ وهي اللام⁽⁵⁾.

و أقل ما تكون عليه أصول الكلمة العربية المتصرفة ثلاثة أحرف؛ حرف يبتدأ به، وحرف يُوقَف عليه، وحرف يحشَى به، وهو الكثير؛ وهذا مشترك بين الأسماء والأفعال، وأكثر ما تكون عليه الكلمة خمسة أحرف، وهو خاصب الأسماء؛ وذلك قليل، وأما ما جاء من الكلمات المتصرفة على حرفين أو حرفٍ واحدٍ، فمما سقط بعض حروفه، وما جاء على أكثر من خمسة أحرف ففيه زيادة؛ وهذا مذهب الجمهور من اللغويين والصرفيين

(1) ينظر: المصباح المنير 1/16.

(2) ينظر: لسان العرب 11/16.

(3) ينظر: المصباح المنير 1/16.

(4) ينظر: شرح المرادي على الألفية 5/233.

(5) ينظر: الخصائص 2/296.

والنحاة⁽¹⁾.

-أصول الكلمة لدى القدامى والمتأخرين:

يكاد علماءنا القدامى يجمعون على أن الأصول؛ إما ثلاثية، أو رباعية، أو خماسية.

أما الأصول الثلاثية فقد انعقد اجماع اللغويين والصرفيين والنحاة على أن أصول أكثر الكلم في العربية ثلاثة أحرف، وتكون للأسماء والأفعال.

قال الخليل: «الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف»⁽²⁾. وقال سيبويه: «فالكلام على ثلاثة أحرف، وأربعة أحرف، وخمسة»⁽³⁾.

أما الأصول الرباعية فهي تكون -أيضا- في الأسماء والأفعال، وهي:

• فَعَلَّلْ؛ نحو: جَعْفَر.

• فِعْلَلْ؛ نحو: زَبْرَج.

• فُعْلُلْ؛ نحو: بُرْتَن.

• فِعْلَلْ؛ نحو: ضِفْدَع.

• فِعَلْ؛ نحو: فِطْحَل⁽⁴⁾.وزاد الكوفيون بناء سادسا؛ وهو فَعْلَلْ؛ نحو: جُخْدَب⁽⁵⁾.

وانفرد أحمد بن فارس -فيما زاد عن الثلاثي؛ وهو الرباعي والخماسي- بعدم اعتداده بما زاد عن الثلاثي في الأصول؛ فهو يرد ما زاد عن الثلاثة إلى الثلاثي؛ بعرض الأصول الرباعية أو الخماسية على ما قاربها من الأصول الثلاثية، وردّها إلى ذلك بإحدى طريقتين:

1- أن تكون منحوتة.

2- أن تكون مزيدة.

أما الأصول الخماسية، فهي مخصصة بالأسماء، دون الأفعال، وأقل الثلاثة في الكلام، كما نصّ عليه

(1) ينظر: العين 1/48-49.

(2) ينظر: العين 1/48، 49.

(3) ينظر: الكتاب 4/230.

(4) ينظر: المقتضب 1/66، والمنصف 1/24، 25.

(5) ينظر: التبصرة 2/784.

سيبويه⁽¹⁾.

أما عند المتأخرين فسلك جمهورهم مسلك المتقدمين، غير أن ثمة طائفة تنحى منحى؛ يخالف ما استقرّ عليه علماء العربية القدامى؛ فهم يذهبون إلى أن أصول العربية تدرّجت من الأقلّ إلى الأكثر؛ فالأحادي أصل الثنائي، والثنائي أصل الثلاثي، والثلاثي أصل الرباعي، والرباعي أصل الخماسي، بمعنأن الأصول الأحادية التي هي مجموعة حروف الهجاء لغة الإنسان الأول المتباعد في القدم، ونواة للغة الأولى في دورها القديم⁽²⁾. ثم الثنائي تولد عن هذا الأحادي عن طريق إضافة حرف قبله أو بعده، ثم الثلاثي تولد عن هذا الثنائي؛ عن طريق التّصدير أو الحشو أو الكسع. فتلاثي ترم -مثلاً- هو ثنائيّ عندهم؛ أصله: الرء والميم، ثم صُدِّر بحرف هو الثاء، ومثله: جرم، وحرم، وشرم، وصرم، وعرم، وغيرها. وعليه استقرت العربية في الثروة البالغة عظاماً وإساعاً، والقائلون بها يو افقون فيها ما انتهى إليه علماء العربية القدامى.

ثم من الثلاثي تولد الرباعي والخماسي، ومثال ذلك أن كلمة (دَحْرَج) مأخوذة من: دَرَج، وسَفَرَجَل مأخوذة من: سَفَر، وجُخَدَب مأخوذة من: جَخَد، وطُحَلِب مأخوذة من: طَحَل، وهكذا؛ وهو ما يعنى أن الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية ليست أصولاً مجردة؛ بل مزيدة.

وقد تصدّى لبيان هذه المسألة عدد من اللُّغويين؛ أبرزهم وليام رايت (ت1305هـ)، وجرجي زيدان (ت1332هـ) من علماء غير شبيه القارّة الهندية، والكننتوري (ت1335هـ) من علماء شبه القارّة.

وإذا قمنا بدراسة هذه النظرية لدى القائلين بها، وما استدلوها به عليها وجدنا العالم الهندي الكنتوري قد أضاف إلى المسألة ما لم يسبق إليه أحد من علماء العرب، ولم يتفطن له غيره. وفي التالي أسوق وسائل وطرق كلّ من العلماء الثلاثة، وكيفية تشكيلهم الكلمة الرباعية والخماسية من الثلاثية؛ لتتضح لنا المسألة وضوح الشمس في كبد السماء.

يتشكل الفعل الرباعي -عند وليام رايت- بالطرق التالية:

أ- مُضاعفة جَدْر ثنائي، يحاكي الصوت أو الحركة؛ مثل: وَسَوَسَ، وبأباً.

ب- إضافة حرفٍ إلى الثلاثي، وعادة ما يكون من الحروف التالية: النون، واللام، والراء، والزاي، والسين، والصاد؛ وهذه الزيادة قد تكون في صدر الثلاثي؛ نحو: سَنَبَسَمَن: نَبَسَ، أو في حشوه؛ نحو: زَخَلَفَ من: زَخَفَ، أو في آخره؛ نحو: شَمَعَلَ من: شَمَعَ.

(1) ينظر: الكتاب 23/4.

(2) ينظر: تهذيب المقدمّة اللُّغويّة: 74.

ج- المزج بين بعض الأصول؛ وهو ما يعرف بالنحت؛ نحو: حَمْدَل، وحوقل⁽¹⁾.

أما جُرْجِي زيدان فنراه يفصّل في زيادة الرباعي؛ فهي عنده: إما قياسية أو غير قياسية، وتكون الزيادة القياسية عنده سينا أو شينا في أول الكلمة؛ على وزني (سَفَعَل) و (شَفَعَل)؛ فمثال الأول: سَقْلَبَهُ؛ أي: صَرَعَهُ مِنْ: قَلْبَهُ، وَسَلَعَفَهُ- بمعنى: ابتلَعَهُ- مِنْ: لَعْفَهُ، وَسَمَلَجَ؛ أي: جَرَعَ جرعا سهلا؛ وهو من: مَلَج الصبيُّ: ضَرَعَ أُمَّه، ومثال الثاني: شَبْرَقَ مِنْ: بَرَقَ.

أما المزيدات غير القياسية فتأخذ صورا مختلفة؛ فقد تكون بمضاعفة حرف أو أكثر من الحروف الأصلية؛ نحو: جَلْبَبَ، وبلْبَل، وقَصِّقَصَ، أو أن تكون بزيادة حرف؛ وهو-في الغالب- أحد حروف أربعة؛ وهي: ل، م، ن، ر، وربما تكون الزيادة في أول الرباعي؛ نحو: نَبْدَرَ بمعنى: بَدَرَ، وَلَهْدَمَ بمعنى: هَدَمَ، أو في وسطها؛ نحو: سَطَلَحَ بمعنى: سَطَحَ؛ أي: اتَّسَعَ، وسَلَحَفَ بمعنى: سَخَفَ، أو في آخرها؛ نحو: بَعَثَرَمَنْ: بَعَثَ⁽²⁾.

أما الكنتوري فنجد أنه يذكر عدة طرق ووسائل؛ ينشأ منها الرباعي، وهذه الطرق تتلخص فيما يأتي:

الأولى: التضعيف، وإبدال أصوات الكلمة بعضها ببعض.

الثانية: صيرورة لام التعريف مخلوطة بحروف الكلمة.

الثالثة: التكرير.

الرابعة: التعريب.

ويقول الكنتوري:

«قد اعتنى نحائنا بالاشتقاق الصرفي، وضبط أصوله، وتسديد قواعده، والكشف من الأغراض الحاصلة به، والنتائج المتفرعة عليه، والامتيازات المعنوية الحادثة منه اعتناءً تقصردونه همم الطالبين، ويفوق فاضله شَرُهُ الرَّاغِبِينَ؛ لا لِأَنَّهُمْ نَقَشُوا خَفِيَّهٖ، وَبَعَثُوا دَفِينَهٗ؛ بل لِأَنَّ أَفْرَادَهٗ بَرَقَتْ فِي أَبْصَارِهِمْ، وَنَعَقَتْ فِي أَذَانِهِمْ، وَانْتَالَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، إِلَّا أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا الْاِشْتِقَاقَ اللَّغَوِيَّ وَرَاءَهُمْ ظَهْرِيًّا، وَذَهَلُوهُ ثُمَّ ذَهَلُوهُ، حَتَّى صَارَ نَسِيًّا مَنْسِيًّا، قَدْ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ الْمَزِيدَ فِيهِ مِنَ الرَّبَاعِيِّ مَأْخُودٌ مِنْ مَجْرَدِهِ، وَأَنَّ الْمَزِيدَ فِيهِ مِنَ الْخَمَاسِيِّ مَأْخُودٌ مِنْ مَجْرَدِهِ، إِلَّا أَنَّهُ مَا خَطَرَ فِي قُلُوبِهِمْ أَنْالِثَلَاثِيَّ يَصِيرُ رِبَاعِيًّا، وَأَنَّ الرَّبَاعِيَّ يَصِيرُ خَمَاسِيًّا، وَبَلَغَ عَدَمَ مِيبَالَاتِهِمْ بِذَلِكَ الْاِشْتِقَاقَ مِيبَلَاً؛ قَالَ جَمْهُورُهُمْ: إِنَّ الرَّبَاعِيَّ وَالْخَمَاسِيَّ لَيْسَا مَأْخُودَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِيَّ؛ بَلْ هُمَا صِنْفَانِ غَيْرِ الثَّلَاثِيَّ. قَالَ الرَّضِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى الشَّافِيَّةِ: (اعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ سِيبَوِيهِ وَجَمْهُورٍ مِنَ النَّحَاةِ أَنَّ الرَّبَاعِيَّ وَالْخَمَاسِيَّ

(1) ينظر: نشوء الفعل الرباعي: 32-33.

(2) ينظر: الفلسفة اللغوية: 72-73.

صنفتان غير الثلاثي، وقال الفراء والكسائي: بل أصلهما الثلاثي. قال الفراء: الزائد في الرباعي حرفه الأخير، وفي الخماسي الحرفان الأخيران. وقال الكسائي: الزائد في الرباعي الحرف؛ الذي قبل آخره، ولا دليل على ما قاله (1)

لا ريب أن القول: الذي عليه الجمهور من النحاة قول سهل لا يحتاج قائله إلى تجشّم مؤنة، وأن ترك الأبنية مهملّة مرسلّة لا يضمّها سمطٌ، ولا يجمعها أصلٌ... (2).

أما الطرق والوسائل: التي بعنونتها ينشأ الرباعي عنده؛ فهي -كما سبق- أربعة: الأولى: إبدال بعض حروف الكلمة بعضاً:

لم يذكر الكنتوريّ هذه الوسيلة بصراحة، غير أنه من خلال تعرّضه للأمثلة وتطبيقها عليها نجد فيما الإشارة إلى أنها من أبرز الوسائل؛ التي ينشأ الرباعي من الثلاثي ويتشكّل منه. يقول:

„أضرب لك -في هذا المقام- بعضاً من أمثلة حصول الرباعي والخماسي من الثلاثي، وأذكر الباقي ممّا عثرت عليه من أمثاله -إن شاء الله- في مطاوي ((فقه اللسان)).“

منها: (دَحْرَج) مأخوذ من: دَرَج، صار: دَرَجَ بالاشتقاق الصرفي: دَرَجَ؛ إظهاراً لزيادة الشدة في المعنى بتشديد الراء في التلّفظ؛ لأنّ الزيادة في اللفظ يدل على إضافة أمر جديد إلى المفهوم الحقيقي للمصدر، ثمّ يبدل إحدى الرائيّن بالحاء صار دَرَجَ: دَحْرَجَ، ووزنه: فَعْعَلْ، والدليل على اتخاذه: دَحْرَجَ من: دَرَجَ قربُ معنى الأول من معنى الثاني؛ مع زيادة سيرة في الصورة.

منها: (قَرَضَبَ) مأخوذ من: قَضَبَ، صار (قَضَبَ) بالتفعيل -لإظهار الشدة في معنى القضب: قَضَبَ، ثمّ أبدلت إحدى الضادّين بالراء؛ فصار: قَرَضَبَ، ووجود القطع في معاني القرضبة كوجوده في معاني: القضب؛ مع إمكان صيرورة قَضَبَ: قَرَضَبَ بالشدّ، والبدلُ يُؤدّن باتخاذه من: قَضَبَ، ووزنه: فَوَعَلَ، ومن الطريف ما قاله العلامة جار الله في ((الكشاف)) في اشتقاق قَرَضَبَ: من أنه مركب من: قَرَضَ وقَضَبَ (3)، ولو كان -كما قاله جار الله- لكان قَرَضَبَ زرافة في اللغات، وكذلك قَرَضَبَه -بالصاد (4).

منها: (دَهَسَمَ) مأخوذ من: دَسَمَ، صار بالشدّ: دَسَمَ، ثمّ أبدلوا إحدى السينين هاء؛ فوزنه على هذا: فَهَعَلَ

(1) ينظر: فقه اللسان 1/258.

(2) نفسه 1/109-110.

(3) ينظر: الكشاف 3/58.

(4) ينظر: فقه اللسان 1/111.

منها: (اذلهم) الظلام؛ كثف واسودَّ، جعلوا دهمَ بالشدِّ: دهمَ، ثم أبدلوا الهاء باللام؛ فصار: دلهم، ثم جعلوه: اذلهم، فوزنُه: اقلعل، ويمكن أن يقال: إنه مأخوذ من: دلم؛ فيكون وزنُه: افعهل⁽²⁾.

منها: (البعثة): خروج الماء من تابل حوضٍ أو خابيةٍ، وتبعثق الماء من الحوض -إذا انكسرت منه ناحية؛ فخرج منها، مأخوذ من: بتق النهر بتقا وتبتاقا: كسر شطه؛ لينبتق الماء، صار: بتق بالتضعيف: بتق، ثم بالبدل: بعثق⁽³⁾.

منها: (علض) رأس القارورة: عالج صمامها؛ ليستخرجها، والعين: استخرجها من الرأس.

أقول: هو مأخوذ من: علضه يغلضه: حرّكه؛ ليزعه نحو الوتد، صار علض بالتضعيف: علض، ثم بالبدل: علض، ووزنُه: فعمل، وإن قلنا: إنعلض رباعي وضع لمعنى الاستخراج؛ مع وجود: علض لذلك المعنى، رمينا الواضع بالسفاهة والجنون⁽⁴⁾.

منها: (خرجم الإبل): ردّ بعضها على بعض، واخرجم: أراد الأمر ثم رجع عنه، والقوم أو الإبل: اجتمع بعضها على بعض، واخرجم: كفّ ونكص، وخرجم تحجيما: نظر شديدا وجود الكف.

أقول: (خرجم) صار بالتضعيف: خرجم، ثم بالبدل: خرجم، وكان: خرجم متعديا، فلما أرادوا أن يتخذوا منه لازما أضافوا إليه نون الانفعال؛ فصار: انخرجم، وصار بالقلب: اخرجم⁽⁵⁾.

وهذا ما تفرّد به الكنتوري؛ ولم أجد من علماء العرب من قال به، غير أن هناك آراءً أُثرت عن بعض المتأخرين في بعض ما ذكر؛ وهي في الحقيقة -لا تلائم ما ذهب إليه الكنتوري.

يرى مكدونالد (ت1971م): أن الرباعي قد ينشأ بإضافة الراء أو اللام إلى الثلاثي؛ نتيجة للمخالفة الصوتية الناتجة عن فك الإدغام؛ كما في: قرطم من: قطم، وقرطب من: قطب⁽⁶⁾.

ويقول الدكتور تمام حسان (ت1432هـ): «وهناك طائفة من الأفعال الرباعية -في اللغة العربية- تعتبر رباعية أصلية الحروف الأربعة في نظر الصرفيين، ولكننا نرى أن أحد هذه الحروف مزيد، ولو لم يكن من

(1) نفسه 115/1.

(2) ينظر: فقه اللسان 115/1.

(3) نفسه 121/1.

(4) نفسه 121/1.

(5) نفسه 121/1.

(6) ينظر: نشوء الفعل الرباعي: 43.

حروف: سألتومنيها؛ فمن ذلك: دحرج > درج، وبعثر > بعث، وشقلب > قلب⁽¹⁾.

والفرق بين رأي هذين الباحثين والكتنوريان الباحثين يُعدّان الرباعي مأخوذاً من الثلاثي؛ بإضافة حرف من دون تضعيف، أمّا الكتنوري فيرى أن الكلمة تربعت بتضعيف وسطها، ثم بإبدال بعض حروفها ببعض؛ للتقارب الصوتي.

الطريقة الثانية: صيرورة لام التعريف مخلوطة بحروف الكلمة:

من أمثلة ذلك، قول الكتنوري:

„الدَّهْمَسُ- كَسْفَرَجَل: الجريء الماضي، والأمرُ المغمضُ: الغيرُ المبين، ومن الليالي: الشديدة الظلمة، والرجلُ: الجلد الضخم، والدُّمَسُ-كُعَلِبَط: الداهية... ادُّمَسُ الليلُ: اشتدت ظلمته، والدُّمَاحِسُ- كَعَلَابِط: الأسد، والدُّمُحْبِيُّ بالضم: الأسود من الرجال، أمرٌ مُدَعَمَسٌ ومُدَعَمَسٌ ومُدَخَمَسٌ ومُدَهَمَسٌ ومُتَمَسٌ: مسطور، و"دَرَمَسٌ: سَكَت، والدَّخَمَسُ-كجعفرٍ وزبرجٍ وبزفجٍ: الأسود من كل شيء...“

أقول: كلها مأخوذة من: دَمَسَ الظلامَ يَدْمُسُ وَيَدْمِسُ دُمُوساً: اشتد، وليل دَامِسٍ: مظلم، ودَمَسَهُ في الأرض: دَفَنَهُ حياً كان أو ميتاً، وعلى الخبر: كَتَمَهُ، والإهاب: غَطَّاه لِيَمْرَطَ شَعْرَهُ، وقريب من دَمَسٍ: طَمَسَ، ودَلَسَ، ودَسَ. دَسَّ: أصل، والباقي فرعه. الدَسُّ: الإخفاء، صار بالبدل: دَلَسَ، ودَمَسَ، وطَمَسَ، وقالوا: الليل الدامِسُ؛ لإخفائه الأشياء عن النَّظَر، ولتوالي اللامات وقع فيه التَّصْحِيفُ في التلَفُظ، فصار: ليل دلامس، واللام؛ التي كانت للتعريف اختلطت بحروف الكلمة، وصارت جزءاً منها، ووزن دلامس: فاعل، ثم بالبدل صار: دَلَمَسَ، وأيضاً صار: دحامس، ودعمس، ودمحسي، ودماحسومدخمس، ومنهمس، والحقيقة في معانيها: الإخفاء، ثم الظلمة، واستعمال البعض في معنى الداهية: لتشبيهها بالليل المظلم في الهيبة والخافة، واستعمال البعض في معنى: الأسد؛ لشجاعته وهجومه بلا خوف؛ مثل هجوم الليل المظلم، واستعمال دَلَمَسَ في معنى: الأمر المغمض؛ تشبيهاً له بالليل في الالتباس وعدم التَّيْبُن، والقول بأن كل واحدة منها كلمة وضعها الواضع على حدة للمعاني المتحدة والمتقاربة بلا داعية إلى اعتياد الكلمات الكثيرة الحروف؛ التي لا تقبل التصريف الواسع قولاً ياباه الذوق السليم، ويردّه ما يشاهد في الألسنة الرائجة من أمثال هذه التغيرات⁽²⁾.

منها:(العَصْد) كجعفر: الصلب الشديد، أصله: الصَّد، جعلوا الألف عينا، ووزنه: عَفْعَل⁽¹⁾.

منها:(العَلَجَم): الغدير الكثير الماء، والعُلُجُوم: الماء الغمر الكثير، أصله: الجَم، صار بالبدل: عَلَجَم، ولبيان

(1) ينظر: مناهج البحث في اللغة: 219.

(2) ينظر: فقه اللسان 1-119-120.

الكثرة أطيلَ التلفظ به، وأشبعَتْ حركة الجيم بإشمام الضمة، فحدَّثت الواو، وصار: عُلُجُوم، وأقيمت مقام إحدى الميمين، ووزنُه: عَلْفَع، وعُلْفُوع⁽²⁾.

منها:(العلقم)، أصله: السُّم؛ من شدة مرارته؛ أبدلت سين السُّم بالصاد، ثم صارت لام التعريف جزء الكلمة، ثم أبدلت الصاد بالقاف⁽³⁾.

منها:(عندم) مأخوذ من: الدم؛ بدلوا الألف بالعين، فصار: عَنَدَم، ثم بدلوا اللام بالنون؛ فصار: عَنَدَم، ووزنُه: عَنَفَع، وسبب: العندم عَنَدَمًا؛ لحمرة ومماثلته للدم في اللون⁽⁴⁾.

منها:(المُعَلَنِدِف): الشديد الظلمة؛ كالمُعَلَنِطِف، مأخوذ من: العُداف، بمعنى غراب القَيْظ؛ لسواده؛ كأنهم قالوا: انغَدَفَ: أي اسودَّ، ثم بنوا منه الفعل؛ فقالوا -مثلا: الليل المُتَغَدِفُ: أي المظلم، ثم بلحن القائل اختلطت اللام بحروف اللَّفْظ، فصار: مُعَلَنِدِف، ثم بالبدل: مُعَلَنِطِف، ووزنه: مُفْلَنِعِل⁽⁵⁾.

وهذا ممَّا تفرد به الكنتوري -أيضا-، ولم يسبقه أحد إليه من علماء العرب وغيرهم، ومثَّل هذا الرَّأْي بعضُ الباحثين، ووصفه بالغرابة⁽⁶⁾.

الطريقة الثالثة: التكرير:

قال الكنتوري: «قد يحدث الرباعي بالتكرير: كجلجل، وسلسل، وقهقه، وبصبص، وقلقل، وغطغط، وشنشش، ونششش، وغيرها من المضاعف»⁽⁷⁾.

هذا ما أشار إليه غير واحد من اللُّغويين؛ أبرزهم: وليم رايت؛ كما مرَّ.

الطريقة الرابعة: التعريب:

قال الكنتوري: قد يحصل كل واحد من الرباعي والخماسي بالتعريب: كسِجِلٍ معرَّبٌ: سِجَلًا الرُّومِيَّة بمعنى: الخاتم، وخَنَدَقٌ: معرَّبٌ: كنده الفارسيَّة، وهفتقٌ: معرَّبٌ: هفته، ويلمقٌ: معرَّبٌ: يلْمَه، وقرنفلٌ: معرَّبٌ: كرن بهول، وسراويلٌ: معرَّبٌ: شلوار...⁽⁸⁾.

(1) نفسه 113/1.

(2) نفسه 112/1.

(3) نفسه 121/1.

(4) ينظر: فقه اللسان 111/1.

(5) نفسه 121/1.

(6) ينظر: تداخل الأصول اللُّغويَّة، وأثرها في بناء المعجم العربي 184/1.

(7) فقه اللسان 123/1.

(8) نفسه 124/1.

وهذا ما تفرّد به الكنتوري؛ حيث إنه أول من تنبه إليه، وعدّه من طرق ووسائل نشأة الرباعي. اتضح مما سبق أن الكنتوري قد توصل -بذهنه الوقاد وذوقه اللغوي- إلى عدة وسائل وطرق جديدة لنشأة الرباعية والخماسية من الثلاثية لم يتفطن إليها غيره من اللغويين؛ لا القدامى ولا المحدثون؛ ولا شك أنّها إضافات وزيادات تجدر بأن تكتظّ بها مكتبتنا العربية والإسلامية. وبالله التوفيق والسداد

المصادر والمراجع

- ❖ التّبصرة والتذكّرة، لعبد الله بن إسحاق الصيمري، تحقيق أحمد مصطفى علي الدين، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى مكة، الطبعة الأولى 1402هـ.
- ❖ تداخل الأصول اللّغويّة، وأثرها في بناء المعجم العربيّ للدكتور عبد الرزاق فراج الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى سنة 1428هـ.
- ❖ تهذيب المقدّمة اللّغويّة لأسعد أحمد علي العلائلي، دار السّؤال للطباعة والنشر-دمشق، الطبعة الأولى سنة 1985م.
- ❖ الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمّد علي النجّار، المكتبة العلمية بيروت، لبنان.
- ❖ شرح المرادي على الألفية للحسن ابن أم القاسم المرادي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1413هـ.
- ❖ العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، ود إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال بيروت، لبنان.
- ❖ فقه اللسان لكرامت حسين الكنتوري، مطبع نولكشورلكناو، الهند، سنة 1915م.
- ❖ الفلسفة اللّغويّة والألفاظ العربية وتاريخ اللغة العربية لجرّي زيدان، دار الحدّثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 1987م.
- ❖ الكتاب لسيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة 1988م.
- ❖ الكشّاف عن حقائق غوامض التّأويل وعبون الأقاويل في وجوه التّأويل لجار الله الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمّد معوض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى سنة 1418هـ.
- ❖ لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى بدون سنة.
- ❖ المصباح المنير لأحمد المقرئ الفيومي، المطبعة الأميريّة بالقاهرة، الطبعة الخامسة سنة 1922م.
- ❖ المقتضب لأبي العباس محمّد المبرد، تحقيق عبد الخالق عضيمة، القاهرة 1415هـ.
- ❖ مناهج البحث في اللّغة للدكتور تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية سنة 1990م.
- ❖ المنصف لابن جني تحقيق إبراهيم مصطفى عبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى سنة 1954م.
- ❖ نزهة الخواطر لعبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني، دار ابن حزم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ.
- ❖ نشوء الفعل الرّباعيّ في اللغة العربيّة: عرض تحليلي لأراء القدماء ودراسات المحدثين، لأحمد عبد المجيد الهريدي، مكتبة الزهراء، 1988هـ.